التّشكيل الّصوتي في سورة البلد

أ.م.د عمار نعمة نغيمش

جامعة القادسية / كلية التربية

خلاصة البحث

يدرس هذا البحث التّشكيل الصوتي في سورة البلد، ذلك أن هذه السورة الكريمة وظفت معايير مهمة لها أثرها في النظام الصوتي المكون للسورة ابتداءً من تقسيم السورة على مشاهد، فكل مشهد ألف وقعاً إيقاعياً له أثره في المتلقي، وتبين أن هذا الوقع الإيقاعي انقسم على ثلاث فواصل، وهي: الدال، والنون، والهاء، واتضح أن الدال تميزت بوقع تقريعي مميز ناسب ما جاء في المشهد الأول من مضامين، في حين أن الوقع الثاني جاء لتقرير فكرة أو قضية.

أما المشهد الثالث فهو المشهد المهيمن في هذه السورة، لأن كلا المشهدين المذكورين كان توطئة لهذا المشهد، وقد انتهى بالهاء، إذ ألفت وقعاً مميزاً في النص الكريم، إذ حافظ على إيقاعية هذا المشهد بما ذكر من ألفاظ مؤثرة، فجاء ليشير إلى انتهاء الحدث فيها.

واتضح أن الأصوات المجهورة لها أثرها ووقعها في الكلمات المؤلفة لهذه الأصوات مما أعطى بعداً مهماً لدلالات هذه الألفاظ ومعانيها ثم تأثيرها على المتلقي.

واتضح أن المشهد الأول من هذه السورة كثر فيه صوت المد الذي يتميز بالوضوح السمعي، إذ ألف مساراً إيقاعياً واضحاً؛ ذلك أن هذا المشهد قد تميز بالارتفاع في الأداء وهو تأكيد لحال الإنسان،ومغزى هذا المشهد أنه خلق في معاناة، وقد أعطى النبر وقعاً مميزاً،ولاسيما في بداية السورة، إذ جاء للتركيز على أهمية هذا البلد والقسم به، فضلاً عن أنه ألف تشكيلاً صوتياً بينه وبين أصوات القلقلة مما جعل لهذه الأصوات التي وقع عليها النبر أثراً في دلالة تلك المضامين المذكورة في السورة.

المقدمة

تميزت السور المكية عامة، والجزء الثلاثون خاصة بالتركيز على جوانب مهمة منها الترهيب، والاتعاظ بأحوال القوم الغابرين، والتفكر في الخلق؛ فضلاً عن قصر الآيات في أغلبها ما جعلها توظّف عناصر مهمة ومهيمنة في النص، يستطيع القارئ أن يتحسسها، ومنها سورة البلد.

والواقع أن هذه السورة سميت باسم أعظم مكان في الأرض، يزاد على أنها تشرفت بذكر الرسول (ص) وعرضت لمواقف مهمة منها خلق الإنسان في مشقة وعناء، وذكر المتكبرين والمعاندين الذين آذوا الرسول(ص)، فوظفت معيار خلق الإنسان وتذكيره بأن الله خلق له أعضاء عجيبة وغيرها ما جعل منها مشهداً مؤلفاً من قضايا صوتية لها أثرها في المتلقي، على الرغم من صغرها ما حدا بي أن أدرس هذه السورة، فعنونت بحثي بـ(التّشكيل الصوتي في سورة البلد).

وقد قسّم هذا البحث على أربعة مباحث سبقتها توطئة عامة عن السورة، وقد درست في المبحث الأول الفاصلة، في حين درست في المبحث الثاني جرس الأصوات، وتناولت في المبحث الثالث الطول، وختمت البحث بالمبحث الرابع الذي درست فيه النبر، ثم جاءت بعده حصيلة البحث،فقائمة المصادر والمراجع، وقد ركزت في هذا البحث على هذه المباحث، لأنها قد هيمنت على جو السورة.

توطئة

المعروف عن سورة البلد أنها مكية باتفاق[1]، وذكر أبو حيان(745ه) أنها مكية في قول الجمهور، وقيل: مدنية[2]، وقيل: إنها مكية كلها بإجماعهم[3]. أما عدد آياتها فهو عشرون آية، وكلماتها ثنتان وثمانون كلمة، وحروفها واحد وثلاثون وثلاث مئة حرف [4].

وسمّيت بهذا الاسم لمفتتحها، وسميت أيضاً بسورة لا أقسم[5] وسورة العقبة، لقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾[البلد: 11] [6]، أما مناسبتها فلما أوضح سبحانه و تعالى حال من تقدّم ذكره في سورتي الغاشية والفجر في عظيم حيرتهم وسوء غفلتهم، وما أعقبهم ذلك من التذكر تحسراً حين لا ينفع الندم، أتبع ذلك بتعريف نبيه (ص) بأن وقوع ذلك منهم إنما جرى على حكم الحكمة التي قدرها الذي جاء في الموضع الآخر في قوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: 13]، فأشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾[البلد: 4]، أي: إنا خلقناه كذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعاً لمن سبقه الشقاء عن التفكر والاعتبار، فأعماهم بما خلقهم فيه من الكبد وأعقل قلوبهم فحسبوا أنهم لا يقدر عليهم أحد[7].

وذكر السيوطيّ أن هذه السورة لها اتصال بما قبلها، أي: سورتي الغاشية والفجر، لأنه عندما ذم فيها حب المال وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تتطلب من صاحب المال من فك الرقبة والإطعام

في يوم ذي مسغبة[8].

أما المقصود من السورة فهو تشريف مكة بحكم القسم بها، وشدة حال الرجل الأحقر الذي كان يعتز بقوته، ويعادي الرسول (ص)، والخبر من سرّه وعلانيته، والمنة عليه بالنعم المختلفة،وتهويل عقبة الصراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم على البلاء، ورحمة بعضهم بعضاً، وخلود الكفار في النار في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾[البلد: 20][9]، وزاد البقاعيّ أن المقصود من السورة الدلالة على نفي القدرة عن الإنسان وإثباتها لخالقه جل وعز بذكر ما للإنسان من الهموم والأحزان، وذكر الأسباب الموقعة فيما شاء وأبى، وذكر السبب المخلص منها الموصل إلى السعادة في الآخرة وهو ما هدى إليه ربه سبحانه، وذلك هو معنى اسمها[10].

وعلى الرغم من صغر هذه السورة إنها تضم عدداً كثيراً من الحقائق في حياة الإنسان ذات الإيحاءات الدافعة واللمسات الموحية، وهذا العدد الكثير يصعب أن يجتمع في هذا الحيز الصغير في غير القرآن الكريم وأسلوبه الفريد في التوقيع على أوتار القلب البشري بمثل هذه اللمسات السريعة العميقة[11].

أما التشكيل الصوتي فهو تلك القواعد التي بواسطتها يؤلف بين أصوات اللغة الواحدة لإنتاج الكلمات على وفق نظام تلك اللغة[12].

المبحث الأول

الفاصلة

أشار القدماء والمحدثون إلى القيمة التعبيرية للفاصلة، ومما لا شكّ فيه أن لها أثراً بالغاً في تجسيد معنى الآية، إذ يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقاً تاماً، فهي تجسد معنى السورة؛ يزاد على أثرها الكبير في الانسجام الصوتي والموسيقي بين الآيات، وما له من أثر في نفس القارئ،وهو ما أسموه بإيقاع المناسبة[13].

لذا إن التعبير القرآني يختار الفاصلة مراعياً فيها المعنى، والسياق والجرس، ويراعي فيها أيضاً جو السورة[14]، قال الباقلانيّ: «حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني»[15].

وقد قسمت الفاصلة في هذه السورة على نوعين هما:

1. **الفاصلة المتوازية**، وتعرف على أنها ما اتفقت الكلمتان في الوزن وحروف الروي[16]، وقد وردت في الكلمات الآتية:

البَلَد(1)، (2) وَلَد(3) كَبَد(4) أَحَد (5)،(6) عَينَين (8) نَجدَين(10)

مَسغَبَه (14) مَقرَبَه(15) مَتربَه[16]

والملاحظ أن العنصر المهيمن في هذه السورة هو الفاصلة المتوازية،ويبدو أن ورود هذا النوع في القرآن الكريم – ومنها هذه السورة – يعطي وقعاً وتوافقاً صوتياً ما يؤدي إلى إثراء

التعبير القرآني بهذا التشكيل الصوتي الذي تنشط له النفس[17].

ومن الواضح أن هذا الوقع جاء من التماثل الصوتي الإيقاعي في نهايات الفواصل، ذلك أن هذا التناوب الحاصل يتحقق فيه التكرار الصوتي، لأن المادة الصوتية تتكرر نفسها في نهاية الكلمتين مما يزيدها جمالاً ورونقاً[18]، لذا قيل عن هذه الفاصلة إنها من أعلى المراتب وأشرفها[19].

2. **الفاصلة المطرفة**، وقد عرفت بأنها الاتفاق في التقفية من غير الوزن[20]، وقد وردت في الكلمات الآتية:

عَينين(8) شَفَتين (9) رَقَبَه(13) مَسغَبَه (14)

وفائدة التطريف هي الوقوع على وسيلة مصاحبة للروي، وهو التشابه المقطعي، والفواصل التي لا تتفق في الوزن تتفق أكثر في المقاطع، ويقع الخلاف بينها في مقطع واحد لتحقيق التنوع النغمي[21].

والملاحظ أن ثمة تشابهاً بين الفاصلتين المتوازية والمطرفة، وهو الحرف الأخير (التقفية).

3. **الفاصلة المتوازنة**، وقد عرفت بأنّها الاتفاق في الوزن من دون الوزن[22]، وقد وردت في الكلمات الآتية:

مَرحَمَه (17) مَيمَنَه (18) مَشأَمَه(19) مُؤصَدَه(20).

ولا يختلف التشكيل الصوتي عما ذكر آنفاً، لأنّ التخلي عن الروي يكون حسناً،ولا سيما إن كانت المزاوجة بينهن بالاعتماد على نهاية صوتية واحدة، فيعطي وقعا مميزاً، وتوازناً إيقاعياً.

وقد تبين أنّ المشهد الأول من السورة الكريمة انتهى بصوت الدال، ويبدأ هذا المشهد من الآية الأولى إلى الآية السابعة، و هذا الصوت يجمع صفتين هما الجهر والشدة، وهاتان الصفتان ثقيلتان[23]، لذا ناسب مجيء هذا الصوت سياق المشهد الأول، إذ كان الحديث فيه منصباً على معاناة الإنسان وعجزه إزاء قدرة الخالق عز وجل.

يزاد على أن هذا الصوت هو صوت قلقلة، وهي هنا كبرى، لأن الفواصل مبنية على الوقف بسبب النظم الموسيقي للفاصلة الذي يتطلب الوقوف على رؤوس الآيات، قال الزركشيّ(749ه): «وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام»[24].

وصوت القلقلة ناتج عن جمع الصفتين المذكورتين آنفاً، وهذه الصفة إنما هي حفز في الوقف، فهو يضغط من موضعه، فالناطق لا يستطيع الوقوف عليه إلا بصوت بسبب شدة الحفز والضغط[25]،و هذه الأصوات يمد الصوت فيها بزيادة عند الوقف عليه[26].

ومجيء هذا الصوت بهذه الصفة يصور هذه المعاناة التي عانى منها رسول الله (ص) في مكة أولاً ثم معاناة البشر ومكابدتهم، فالإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد[27].

لذا جيء بهذا الصوت – على ما يبدو – ليصور هذه المكابدة والألم والحسرة، فهذا الصوت – في هذا المشهد – يقرع الآذان، فهو تشكيل صوتي صنعه الوقف على الإيقاع المقلقل الذي يوحي بدلالات التنكيل والعذاب،والمعاناة

ليتعظ الإنسان بهذا الإيقاع،إذ اتخذت لغة هذه السورة من هذا المشهد وسيلة لتصوير الموقف المذكور معتمدة في ذلك على الصوت المكرر، إذ إن الفاصلة تساوقت مع الموضوع المتحدث عنه من حيث المعنى والجرس.

لأن الفواصل القصيرة تخاطب قريشاً وتلفت أنظارهم إلى هذا الإعجاز ما جعل التحدي واضحاً فيها[28].

ولا سيما أن هذه السورة مكية، فواءم(الدال) فيها أسلوب الدعوة لذلك خلقت هذه الفواصل جواً نفسياً يقرع الآذان، فناسبت الكلمات السريعة هذا القرع فخلق جواً من شأنه أن يثير انتباه المتلقي إلى تلك المعاني المذكورة؛ ذلك أن الإيقاع الأحادي في هذا المشهد أثار وقعاً تقريعياً، ولاسيما إن قرئ على نفس واحد.

وهذا الموقف التقريعي – إن صحّ التعبير – أسس أو خلق للقارئ تشكيلاً صوتياً من فقرتين، هما : التبليغ والتواصل التي تجسدت في البنية القائمة على الدال عن طريق الضربات المتتالية وعلاقتها بمضمون الفواصل السبعة، وهذه الآيات قصيرة متوالية شديدة الإيجاز والوقع فترك في نفوس المتكبرين والمعاندين أثراً عظيماً ووقعاً شديداً، ويتضح ذلك من سبب نزول السورة بذلك الرجل المعاند الذي كان يؤذي رسول الله(ص)، فالعلاقة القائمة كانت بالشكل الآتي :

البَلَد ⟷ وَلَد ⟷ كَبَد

معاناة ⟷ الرسول ⟷ المشقة ⟷ المشقة

وهذا المشهد ألف علاقة قائمة على وتيرتين، من جهة الشكل ومن جهة المضمون، فالشكل هو البلد الولد، الكبد، ونقطة الالتقاء في هذا الشكل هو المشقة. أما المضمون فهو الدال الذي جاءنا من الإيقاع الأحادي، وهو الإيقاع المهيمن في هذا المشهد.

في حين ابتدأ المشهد الثاني بالآية الثامنة وانتهي بالآية العاشرة، إذ انتهت فواصله بصوت النون. والمشهور أنّ صوت النون من أطول الصوامت في العربية، وله ترددات عالية[29]. يزاد على أن هذا الصوت يتميز بوضوح سمعي عال، فهو يشبه أصوات اللين في هذه الصفة، فهو من الأصوات المتوسطة، التي اختيرت في الروي ونهايات الفواصل، وذلك جاء من قوة الإسماع العالية[30]، لأن النون فيها قيمة نغمية ووضوح سمعي عال.

ويبدو أن الوضوح السمعي والقيمة السمعية العالية ينبهان المتلقي على هذه النعم الإلهية، وإبراز المقصود ولإفهام المعنى المتحصل من هذه الآيات الثلاث (عينين، شفتين، النجدين)، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[البلد: 10-8]، ولاسيما أن هذه الفواصل انتهت بالمقطع المديد.

إذ يتطلب مدة زمنية طويلة يناسب ما ذكر في سياق الآية من استفهام تقريري؛ لأن مضمون هذه الآيات الثلاث هو التذكير بالنّعم الإلهية.

أما المشهد الثالث في السورة الكريمة فقد ابتدأ بالآية (11) وانتهى بنهاية السورة في الآية (20).

والملاحظ على نهاية فواصل هذا المشهد أنها انتهت بصوت الهاء، ويذكر أنّ هذا الصوت مهموس رخو مهتوت يجري معه الصوت[31]، ولعله يشير إلى انتهاء الحدث في تلك الألفاظ التي وردت فيها الهاء، لأنّ أغلب أصوات الكلمات كانت ثقيلة أوحت بالمواقف الصعبة والمثيرة للخوف،فجاءت الهاء

لتشير إلى توقف الحدث وانتهائه، فضلاً عن أنها جاءت بوصفها مميزاً إيقاعيا لما سلف ذكره من ثقل، فكأنّها أوحت بنهاية الحدث الصعب في هذه الكلمات، والدليل على ذلك أنّ هذه الألفاظ تشير في أغلبها إلى الموقف الصعب، مثل العقبة التي قيل عنها: إنها استعارة فتحمل الشاق على النفس، وإن الاقتحام هو الدخول بسرعة وضغط وشدة[32].

وقيل: إنّه جبل في جهنم، وقيل: سبعون دركة، وقيل: هو الصراط، وقيل: إنه مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة[33].

أما فك الرقبة فهو الخلاص من الأسر، وقيل: من الرق[34]، وقيل: إنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات[35]. أما المسغبة فهي المجاعة[36].

ذلك أن الكلام في هذه الألفاظ على من يجوز الصراط، يزاد على ذلك أن هذه الفواصل متوازية قد أعطت وقعاً مميزاً يحافظ على الجو الإيقاعي لهذا المشهد الذي يثير انتباه القارئ إلى هذه الأوصاف المذكورة، وكأن السورة الكريمة قسِّمت على لوحات إيقاعية، اللوحة الإيقاعية الأولى هي صوت الدال، فلما كان المشهد الأول ذا إيقاع سريع وحاد استعمل معه صوت الدال.

واللوحة الإيقاعية الثانية هي إيقاعية النون، وهذا الإيقاع أخف وقعاً من الإيقاع الأول، ولكن الموقف إزاء تعداد النعم الإلهية لذا جيء بهذا الصوت الذي يتميز بالإيقاعية العالية.

أما اللوحة الثالثة فهي اللوحة التي انتهت بالهاء والتي أشارت إلى انتهاء الحدث، فضلاً عن المحافظة الإيقاعية على حد السورة، و لاسيما المشهد الثالث الذي كان التركيز منصباً عليه، لأن المشهدين المذكورين آنفاً كانا توطئة وتمهيداً لهذا المشهد.

ويستشف من ذلك أنّ ثمة تشويقاً في الكلام ابتدأ بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾[البلد: 12]، فالنص الكريم ابتدأ بالإجمال أولاً، ثم التفصيل، إذ قال تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾[البلد: 18-13].

في حين أن صفة الكافر قد أُجمل الكلام فيها، إذ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾﴾[البلد: 20-19]، وهذا من شأنه أن يحافظ على جو هذا المشهد من إيقاع، وهو بدوره يثير القارئ إلى ما في هذه السورة الكريمة من مواعظ وعبر.

والدليل على ذلك أن ثمة نسقاً عددياً للمنظومات الإيقاعية، فقد بدأت السورة بمنظومة سباعية، هي: (البلد، ولد، كبد، أحد، لبداً، أحد) (7-1)، ثم جاءت بعدها منظومة إيقاعية ثلاثية، هي: (عينين، شفتين، النجدين) وبعد جاءت منظومة إيقاعية عشرية، هي: (العقبه، رقبه، مسغبه، مقربه، متربه، مرحمه، ميمنه، المشأمه، مؤصده) (20-11).

وهذا يعني أن عدد فواصل المنظومة العشرية يساوي عدد المنظومتين السباعية والثلاثية[37]، وهذا الكلام يؤكد ما ذكرته آنفاً من أن المشهدين الأول والثاني كانا توطئة للمشهد الثالث.

المبحث الثاني

جرس الأصوات

لما كانت هذه السورة مكية، وفيها مشاهد متعددة، فمن الطبيعي أن تكثر فيها الأصوات التي لها أثر في السياق الصوتي، ومنها الأصوات القوية التي ألفت عدداً لا يستهان به موازنة بالأصوات الأخر، وأبدأ بأول هذه الأصوات وهو صوت اللام، فقد تكرر هذا الصوت في اثنتين وعشرين موضعاً.

والمعروف عن هذا الصوت أنه مجهور يخرج من جانبي اللسان[38]، وهو صوت متوسط، وهذه الصفة تجعله يتميز بالقوة والوضوح السمعي العالي بالقياس إلى بقية الأصوات[39]، فهو يحتل المركز الثاني بعد في قوة الإسماع[40].

لذا جاء هذا الصوت ملاصقاً لصوت الدال في نهاية الفواصل في المشهد الأول، وهذا ما جعله يؤلف تشكيلاً مناسباً مع صوت الدال ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[البلد: 1]، ليثير القارئ إلى أهمية هذا البلد (مكة) أو قل: أهمية القسم بهذا البلد، وهو مسقط رسول الله(ص)، وحرم أبيه إبراهيم(ع)، ومنشأ أبيه إسماعيل(ع)[41].

وكأن مجيء اللام مع الدال يشير إلى هذه الأهمية أو ليعطي تشكيلاً صوتياً مميزاً ليصور للقارئ بل إلى المشركين أهمية هذا البلد وحريته ووجود رسول الله (ص) فيه.

ومثله الآية الثانية، قال تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[البلد: 2]، فتكررت اللام مرتين، والآية الثالثة كذلك﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾[البلد: 3].

والوضوح السمعي لهذا الصوت جعله يؤدي وظيفته مع صوت الدال في الآيات الثلاث الأولى؛ إذ إن هذه الآيات جاءت في بداية السورة، فابتدأت بالقسم، فكان التركيز فيه على بدايتها يثير انتباه المشركين أيضاً إلى ما في هذا المكان من قدسية وعظمة.

ويبدو أنّ هناك توافقا ما بين دلالة صوت اللام الجانبي (خروجه من جانبي اللسان) ودلالة (عينين،شفتين، والنجدين)، فالعينان خلقهما الله لينظر بهما الإنسان بكلتا الجهتين، و كذلك الشفتان فهما اثنتان، ثم النجدان المؤلفان من جانبين (جهتين).

أما الميم فهو الآخر قد تكرر في مواضع متعددة من السورة، فهو من الأصوات المتوسطة أيضاً التي تتميز بالقوة الإسماعية العالية، وهو صوت شفوي تنطبق معه الشفتان[42]، ولاسيما في كلمة (إطعام)، قال تعالى: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤﴾[البلد: 14] إذ ورد في نهاية الكلمة، فتحسّ منه الأثر الناتج عن الإطعام.

وقد ورد أيضاً في بداية الكلمات الآتية: مسغبة(14)، مقربة(15)، مسكيناً، متربة(16)، مرحمة(17)، مشأمة(19)، مؤصدة(20)؛ لينبه المجتمع إلى أثر هذه الصفات، لأنّ المسغبة هي المجاعة أو اليوم المحروص فيه على الطعام[43].

والملاحظ أنّ ثمة توافقا صوتيا ما بين المخرج الصوتي للميم (الهواء يخرج ويحبس في نهاية الشفتين) واختياره لخاتمة السورة بوصفها النتيجة(المشهد الثالث).

أما المسكين (ذا المتربة) فهو الذي لصق بالتراب من فقره، وضره لذا يقال: إذا افتقر الرجل حتى يلصق بالتراب[44].

إذ أوتي بهذا الصوت على ما يبدو لينبه إلى تلك المعاني العظيمة وأثرها في المجتمع.

والمتتبع لصوتي العين والقاف في هذه السورة يجدهما يؤلفان تشكيلاً صوتياً له أثره في السياق الصوتي، وقد ورد صوت القاف في أقسم(1)، اقتحم العقبة(11)، العقبة (12)، رقبة (13)، مقربه(15)

وصوت القاف شديد، فضلاً عن صفة القلقلة الصغرى في(أق) من أقسم، و(مق) من مقربة، لذا فهو من أعسر الحروف في النطق[45].

والظاهر أن وجود هذا الصوت جاء ليبين أن الأمر في هذه الآيات ليس سهلاً، بل يحتاج إلى جهد كبير، فألف تشكيلا قويا في كلمة العقبة، إذ ائتلف هذا الصوت مع صوت العين الذي لا يختلف عن صوت القاف في القوة.

والمعروف أنّهما من أطلق الحروف وأضخمها جرساً[46]، وهذان الصوتان مستعليان[47] يوافقان معنى العقبة الذي ذكر آنفاً.

أما صوت الباء فقد تكرر في مواضع متعددة من السورة، هي :

بهذا (1)، البلد (2)، كبد (4)، لبدا(6) العقبه(11) و(12)، رقبه(13) مسغبه(14) مقربه(15) متربه(16) بالصبر وبالمرحمة(17) بآياتنا(19)، وهذا الصوت مجهور شديد،[48]، وكأنّ وجوده في المشهد الأول يشد انتباه المتلقي إلى ما في هذه الكلمات من معان وعبر، ولاسيما أنه جاء مع اللام والدال في كلمة (البلد)، ومع الدال والكاف الشديد[49] في (كبد)، ومع العين والقاف في (العقبة)، ومع القاف في (رقبة)، ومع العين في (مسغبة).

أما وجوده في المشهد الأخير من السورة لما تحتويه هذه الكلمات من معان أخلاقية وإنسانية، لذا جيء بأصوات ثقيلة تؤلف هذه الكلمات، قال مكي القيسيّ: «والشدة من علامات قوة الحرف فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء، فذلك في غاية القوة في الحرف، لأنّ كل واحدة من هذه الصفات تدل على القوة في الحرف، فإذا اجتمع اثنتان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة»[50].

ولعل مجيء الراء في مقربة، ومتربة، ومرحمة، يشير إلى تكرار هذا العمل، وكأنّه حاصل له، وهو عمل متكرر عند المؤمن؛ لأنّ الراء مجهور، وصوت تكراري يجري فيه الصوت لتكراره[51].

أما نهاية السورة فقد انتهت بكلمة مؤصدة، إذ اجتمعت فيها عدة أصوات، وقد أشرت إلى الميم آنفاً وما فيها من قوة إسماعية، أما الصاد فهو صوت صفيري يتميز بعلوه السمعي[52]، لأنّ الصفير من علامات قوة الحرف، فالصاد أقوى حروف الصفير للإطباق والاستعلاء الذي فيها[53]، ويهمنا هنا أنه صوت مطبق، وهذه الصفة وافقت معنى الكلمة التي قيل عنها: إنها مطبقة[54]، يزاد على وجود حرفي الهمزة والدال اللذين يتميزان بالجهر والشدة[55]، إذ تبين أنّ المشهدين(الأول والثالث) قد كثر فيهما الأصوات التي جمعت صفات قوية،إذ وُظّفت في سياق السورة الكريمة ؛ لتؤدي وقعاً تشكيلياً له أثره الواضح

بمضامين السورة، وما تلقيه من أثر على المتلقي، ولاسيما في المشهد الثالث كونه نتيجة للمشهدين المذكورين في النص.

وبقي شيء لا بد أن يذكر هنا، وهو أن هناك تبادلاً في عدد من الحروف، منها ما وجد في المشهد الأول، نحو قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[البلد: 5] ،﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [البلد: 7]إذ حصل التبدل في النون والميم، وهذان الصوتان لهما قوة صوتية عالية[56].

وقد ورد التبدل الفونيمي في كلمتي مقربة، ومتربة، بين صوتي القاف والتاء، وذكر آنفاً أن الصوت الأول شديد جيء به لينبه إلى العلاقة بين اليتيم ذي المقربة.

أما التاء المهموسة فقد صورت حال المسكين الذي لصق بالتراب.

وفي النص فن بلاغي له أثره في التشكيل الصوتي، وهو فن الجناس، وهذا الفن البديعي من أوسع الأساليب البديعية موسيقية، لما يمتاز به من خاصية التكرار والترجيع اللذين يسمحان بتكثيف جرس الأصوات وإبرازها[57].

وقد ورد الجناس بنوعين هما: الناقص في (والد) و(ولد)، وهذه إشارة إلى ما في الوالد والولد من معاناة ومكابدة.

واللاحق في مقربة ومتربة، ولعل وروده في هاتين الكلمتين للإشارة إلى ما فيهما من معان.

المبحث الثالث

الطول

المشهور أن طول الصوت يناسب طول الزمن الذي تحتفظ في أثنائه بالصوت مستمراً في كلمة أو عبارة معينة[58].

فيوصف الصوت بأنه طويل إن كان صوته المميز محتفظاً به لوقت طويل نسبياً[59]، وقد ألف صوت الألف مساراً إيقاعياً واضحاً، إذ تكرر في مواضع كثيرة من السورة، يزاد على أن السورة ابتدأت بهذا المد في (لا).

والحق إن القارئ يقف على الأثر النفسي الذي يلحقه الصوت الطويل في الكلمة، وهو هنا صوت مد، فهو «حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو ؛ لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء، وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الألف»[60]، فليس هناك حرف أوسع مخرجاً ولا أمد صوتاً منه[61].

وصفة الجهر تشكل العنصر الواضح في الألف، ما يمنحه قوة الإسماع العالية[62].

وقد تكرر هذا الصوت في المشهد الأول، وهذا المشهد – كما يبدو – يحمل هزة عنيفة، إذ جاءت الألف ابتداء من أول حرف في الآية إلى نهاية الآية السادسة، ذلك أن هذا المشهد قد تميز بالارتفاع في الأداء وهو تأكيد لحال الإنسان وتذكير له، وثيمة هذا المشهد أنه خلق في معاناة، والدليل

على ذلك أنّ المشهد ختم في نهاية الآية السادسة، وهي كلمة (لبداً)، إذ كسر الإيقاع ؛لأن الإيقاع المهيمن في هذا المشهد هو صوت الدال.

في حين أن الإيقاع انتهى بالألف، وهو يشير إلى حال الإنسان المعاند الذي خُلِق في مشقة وعناء والذي حسب أنه لم يقدر عليه، و(اللُبد) هو المال الكثير بعضه على بعض[63]، فإذا كانت كلمة (فُعَل) تدل على الكثرة[64]، فقد جيء بهذا المد ليزيد هذا الكثير ويوضحه.

ويمكن القول: إن هذا المشهد قد كثر فيه صوت المد لما فيه من معان قد ذكرتها هذه السورة، فجيء بهذا الصوت ليبين للسامع والقارئ هذه المعاني، فعبر عنها بالألف لما يتميز به من وضوح واتساع.

أما المشهد الثاني فكانت الآيات فيه مستقرة نوعاً ما، لذا قلّ مجيء هذا الصوت فيها.

وقد تكرر في المشهد الثالث أيضاً؛ لما في ذلك المشهد من تفصيل، إذ ذكر التعبير القرآني اقتحام العقبة، فجاء بالاستفهام عند العقبة ثم فصل في ذلك، ولا يخلو هذا التفصيل من صوت المد ابتداءً من الآية (14) إلى الآية (18).

أما الآيتان الأخيرتان فقد قلّ فيهما هذا الصوت؛ لأن الموقف لا يحتاج إليه، ولا يحتاج إلى تفصيل بل يحتاج إلى إجمال؛ لأن السياق القرآني جاء طويلاً وهو تهيئة النفس لذكر الآتي من العذاب، لذا لم نجد في الكلام وصفاً، بل على الضد من ذلك نجد أن صوت الألف كثر في هذا المشهد؛ ليشد انتباه المتلقي إلى الكلام الطويل حتى يذكر الإنسان بما في النعيم الأخروي.

أما المقطع المقطع الأخير من هذا المشهد فلم يذكر تلك الصفات التي تجعل الإنسان يعبر تلك العقبة الطويلة، فالكلام كان قصيراً جداً، فطبيعي أن يقل ذكر صوت المد فيه، لأنه ذكر أصحاب الشؤم، والحرمان، والهلكة.

وإذا ما تتبعنا المقاطع الطويلة التي لها علاقة بما ذُكر فإننا نجدها قد ذكرت في اثنين وثلاثين موضعاً، ويذكر أن المقطع الطويل ذو وضوح سمعي عال، لأن الحركة الطويلة أصعب نطقاً من الحركة القصيرة؛ لأنها مضاعفة القصيرة أو أكثر[65].

فهي تتسم بوضوح سمعي عالٍ، ولا وجود لإعاقة في النطق ما يجعل نطقها يستغرق زمناً أطول من غيرها[66].

لذا ابتدأت السورة بهذا المقطع؛ يزاد على أنه جاء في كلمة (هذا) من الآية الأولى للتركيز والتنبيه على مكة المكرمة، إذ جاءت الآية الأولى تحمل مقطعين طويلين هما (لا) و(ها).

أما الآية الثانية فقد جاء في موضع واحد، وهو (ها) من (هذا) أيضاً، ولعلّ مجيئه هنا هو لعظمة هذا المكان وحرمته وأهميته.

وقد ورد في الآية الثالثة في موضعين، هما: (وا) من (والد) و(ما) من (ماولد)، قال الزمخشريّ: «فإن قلت ما المراد بـ((والد وما ولد» ؟ قلت: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه ومنشأ أبيه إسماعيل»[67]. وقيل: إنه قد أقسم بالبشر، لأنهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض لما فيهم من التبيان والنطق والتدبير وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله[68]، ومن هذا الأمر

جاء طول الصوت للإشارة إلى ذلك.

وقد جاء في الآية الخامسة في نهايتها، أي: (مالاً) و(لبداً)، وهنا تشارك الموصوف والصفة في إبراز دلالة هذا المقطع، والمعنى هنا كثرة الإنفاق فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويعدونها معالي ومفاخر[69].

وهذه المعالي والمفاخر تحتاج إلى إطالة الصوت، وقد وافقت دلالة الكثرة وجود هذا الصائت الطويل في نهاية الكلمة علماً أن المقطع الطويل وافق الدلالة الصوتية، وهي هنا اتساع في دلالة الكثرة.

فضلاً عما تقدم فقد صوّر المقطع الطويل حال طول اللسان، والكلام عليه في الآية التاسعة، إذ ورد مرتين في كلمة (لساناً)، ويبدو أن وروده هنا يشير إلى هذا العضو العجيب في خلقته وكيف ينطق به؟

لذا واءم هذا المقطع ما جاء في نهاية الكلمة من المقطع المديد، لأن اللسان يترجم به الإنسان عمّا في ضميره[70].

وظهر في الآية العاشرة في (نا) من قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ﴾، ومجيء هذا المقطع هو للإشارة إلى أن الهداية ليست أمراً سهلاً، فوافق هذا المقطع ما وجد في نهاية كلمة (النجدين) من مقطع طويل، وما فيه من معنى معجمي، لأن النجد هو الطريق في ارتفاع[71].

وقد تكرر في الآية الثانية عشرة في موضعين أشار فيها إلى هول العقبة، أولهما في (ما) والثاني في (وما أدراك)، لذا إن للعقبة دلالات معجمية كثيرة منها: إنها جهنم أو جبل بجهنم[72]، وهي هنا اعتراض على أن الإنسان لم يدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله[73].

وقيل: إنها مثل ضربه الله يريد أن المعتق رقبة والمطعم تقاحم نفسه وشيطانه فعل من يتكلف صعود العقبة وغيرها، وروي هذا عند مقاتل[74]، لهذا ابتدئ بتهويل أمرها لعظيم قدرها فعبر عنها بالماضي[75].

والملاحظ على الآية (14) أنه تكرر فيها في ثلاثة مواضع هي :

(عا) من (إطعام)، و(في) من (في يوم)، و(ذي) من (ذي مسغبة).

واضح أن مجيء هذا المقطع ذي القوة الإسماعية العالية يذكر بشدة هذه الصفات وصعوبتها، لأن الإطعام له علاقة في اليوم ذي المسغبة.

وسبق أن ذكر أن المسغبة تعني المجاعة أو اليوم الذي يحرص فيه على الطعام، لذا جيء بهذه المقاطع لتعبر عن شدة ذلك اليوم أو عن شدة الجوع.

والأمر نفسه يقال عن ورود هذا المقطع في الآية (15)، أي: في (ذا متربة)، فقد استعمل هذا الصائت الطويل؛ ليبين هذا الأمر، ذلك أن المعنى هو اللصق بالتراب وفيه إشارة إلى طول الالتصاق.

أما الآية الأخيرة فقد ذكرت صفات الذين يتخلصون من طريق العقبة، فركز على مقطع واحد ليبين أنهم من أصحاب الميمنة، وقد قلّ هذا المقطع في الآية قبل الأخيرة، وذُكر في الآية الأخيرة، فاستعمل في كلمة (نار)؛ لأنّ الموقف صعب هنا، فالسياق لا يحتاج إلى إطالة، بل يحتاج

إلى إيقاع ذي حدّة أسرع، فاستعمل في كلمة واحدة.

ومن الواضح أن المشهد الأخير تكرر فيه المقطع المغلق، وهو أقل اتساعاً من المقطع الطويل؛ لأن هذا المقطع يأتي للمواقف الصارمة والحادة التي لا تحتاج إلى إطالة في الصوت.

وخلاصة القول: إن المشاهد الأخيرة في السورة الكريمة قد تكرر فيها المقطع الطويل، لأن السياق يحتاج إلى تعداد ذلك، إذ ابتدأ بالإجمال ثم التفصيل لتلك الصفات التي تجعل الإنسان يعبر (العقبة) .

أما نهاية المشهد الأخير فقد قل فيه هذا المقطع، لأنه لا يحتاج إلى تفصيل بل يفاجئ المخاطب والمتلقي .

المبحث الرابع

النبر

يعرّف النبر على أنه نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد[76]، أو هو القوة أو الجهد الممنوح لنطق مقطع معين أوضح من باقي المقاطع[77]؛ ليميزه من غيره؛ لأنه يتحقق من المقاطع، ويظهر من الأداء الصوتي للكلمات في الخطاب المقروء أو المنطوق[78]، فهو يتطلب عادة بذل طاقة في النطق، ويتطلب من أعضاء النطق مجهوداً شديداً أيضاً، ومن يتتبع السورة يجد مقاطع متعددةً في السورة الكريمة نطقت بقوة أو بجهد ممنوح، وقد جاء بطريقتين، هما:

نبر الكلمة: ويعرف بأنه النبر الذي يقع على مقطع من مقاطعها[79]، وهذه المقاطع هي:

(أق) من (أقسم) والظاهر أن وقوع هذا الحفز الصوتي جاء للتركيز على أهمية هذا البلد .

كذلك وقع في المقطع (يق) من الفعل (يقدر) ، وجاء هنا ليوضح طغيان الإنسان وعلوه من دون السيطرة عليه.

وقد جاء أيضاً في نهاية كل من الآية الثامنة، والتاسعة، والعاشرة (أي: في المقطع المديد).

و مجيء النبر جاء لتبصير الإنسان بأن أعطاه الله – عزّ وجلّ – هذه النعمة، فالأداء مناسب، لأن للمقطع دوراً في هذه المسألة ؛ بوصفه مقطعاً ثقيلاً لا يكون إلاّ في الوقف[80].

وهذا يدعو إلى التفكر والتدبّر في هذه الأشياء

التي ذكرها البارئ عزّ وجلّ.

وظهر في (فلا اق) من﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾؛ لأنّ الاقتحام يعني الدخول والمجاوزة بشدة ومشقّة، لذا جعلت الصالحة عقبة، وجعل عملها اقتحاماً لها؛ لما في ذلك من معاناة ومشقة،ومجاهدة النفس[81].

إذ نُبرت بداية الفعل للتنبيه على صعوبة هذا الأمر وشدته،فناسب ما في النبر من شدة، وضغط ما في الاقتحام من شدة، ومشقة، فكأنّ التّركيز على بداية الفعل تشير إلى الصعوبة الحاصلة في أثناء عبور العقبة ومجاوزتها.

وبرز أيضاً في (أد) من قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾، إذ جاء في بداية الجملة المعترضة، أي: يا أيها السامع كلامنا والراغب فيما عندنا أنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله[82].

وقيل: إن كلّ شيء جاء في التعبير بلفظ (وما أدراك) فقد أخبر به الباري عز وجل، وكل شيء قيل فيه (وما يدريك) فإنه لم يخبر به[83].

وجاء أيضاً في بداية كلمة (إطعام) في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾، أي: (إط)، ذلك أن الإطعام في يوم ذي مجاعة يكون الطعام فيه عزيزاً(84).

فجيء بهذا الاسم منبوراً في بدايته للتركيز على ذلك اليوم المحروص فيه على الطعام.

والمتتبع كلمة مقربة في الآية (15)، فإنه يجد قد تبين في بدايتها، أي: (مق)، إذ برز في هذا المقطع من دون غيره للتركيز على ذي القرابة ؛لأهميتها في بناء الأواصر الاجتماعية ليجمع بذلك بين الصدقة والصلة(85).

وهذا الارتفاع الملحوظ على المقطع إنما هو درس، والهدف منه أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غيرهم كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله[86].

واضح أن ثمة تشكيلاً صوتياً بين أصوات القلقلة والنبر في هذه السورة،لأن أصوات القلقلة تختلف عن بقية أصوات اللغة[87]، فثمة سمات صوتية تصاحب أصوات القلقلة، وهي: البروز الصوتي والانفجار بما له من ضغط واندفاع للهواء وتحريك واضطراب ونفاذ في السمع[88] فشأنها في ذلك شأن النبر، ما يجعل لهذه الأصوات أثراً في دلالة تلك المضامين المذكورة في السورة.

وقد ورد النبر أيضاً في نهاية السورة، أي: في (مؤ) من (مؤصدة)(20)، حتى يبين هذا الانطباق والانغلاق على الكافرين، إذ إن أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب[89].

أما النوع الثاني من النبر فهو النبر الدلالي أو نبر السياق[90]، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن المتكلم يقصد إلى الكلمة في جملة فيزيد من نبرها، ويميزها من غيرها من كلمات الجملة رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص فيها[91].

ويتمثل هذا النبر في العناية بنطق لفظ في الجملة أو حرف وإبراز دوره بإعطائه مزيداً من قوة الصوت في الأداء، ليؤدي دوراً وظيفياً في التركيب يؤثر في دلالته ويساهم في دلالة التركيب[92]، ويكون هذا النبر بأساليب عدّة هي:

1 - بالتفريق بين معنى ونقيضه، نحو: هذا ما قلته (الجملة منفية)، وهذا ما قلته (الجملة مثبتة)، فوقع النبر على (ما) في الجملة الأولى فأبرز دلالتها في التركيب فأعطت معنى النفي، في حين وقع النبر في الجملة الثانية على (قلته) فدل على أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي، فأصبح (هذا الذي قلته)، فقد شارك الأداء السياقي في تحقيق الدلالتين[93].

ونجد مثل هذا الذي قيل في النص الكريم، قال تعالى:، إذ إن هناك رأيين في إعراب (ما)، فيجوز أن تجعل (ما) مع ما بعدها في معنى المصدر، كأنه قيل: ووالد وولادته[94].

والثاني أن تكون نافية، كأنه قيل: ووالد غير ووالد، وعلى هذا لا يصح هذا القول إلاّ بإضمار الموصول، كأنه قيل: ووالد والذي ما ولد[95]، وهو ما لا يجوز عند البصريين[96].

وعند تطبيق ما ذكر آنفاً نجد النبر وقع على (ولد) إن كانت مصدرية، أما إن كانت نافية فيقع على (ما) وكانت الجملة منفية.

ويبدو أن المعنى الأول أصح، فوقع التركيز على (الولد)، أي: وما نسل من ولد آدم (ع)؛ لأن الله سبحانه وتعالى أقسم بهم؛ بوصفهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض، لما فيهم من التبيان،والنطق والتدبر ونحو ذلك.

لذا يرى الفراء(207هـ) أنّ (ما) صلحت للناس، كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: 3].

ولا يمكن أن يكون المقصود به الرسول؛ لأن (ولد) جاءت نكرة، والمقصود بالتنكير الإبهام المستقل بالمدح والتعجب(98). وهذا ما يُلائم الإنسان عامة.

2 - إظهار بعض الكلمات والأدوات في الجمل، مثل: أدوات الاستفهام، والنفي، وغيرها، فالنبر يقع عليها لإظهار وظيفتها في التركيب[99].

وقد وردت بعض الأساليب في السورة الكريمة في المواضع الآتية:

لا في (لا أقسم) (1)، وقد اختلف في هذه الأداة، فمنهم من قال: إنها زائدة، ومنهم من قال: إنها بمعنى (ألا)، ومنهم من قال: إنها نفي لكلام قبله، ثم ابتُدأ بالكلام[100].

وقد رجح المعنى الثالث بلحاظ أنه ردّ، فهو قول ليس له رد، لأنه يصحّ به المعنى، ويتمكن اللفظ والمراد، فهو ردّ لكلام من أنكر البعث ثم ابتدأ القسم.

ومنها (لن) في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[البلد: 5]، والمعلوم من أنها تنفي الفعل وتختص بالزمن المستقبل[101]، فكأن الضغط على هذه الأداة يشير إلى الغطرسة والعزة، والقوة التي يحسب بها أن لا يقاربه أحد[102]. وقيل: أيظن ابن آدم أن لن يعاقبه الله عز وجل؟[103].

ومنها ضمير الفصل (هم)، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾ [البلد: 19].

والمعروف عن هذا الضمير أنه يأتي للتخصيص، وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، فضلاً عن دلالة التوكيد، لأنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه من دون غيره[104]،وهو هنا إشارة إلى غرض خاص، وهو التخصيص، لذا

زيد من نبر هذا الضمير للإشارة إلى ذلك.

ج- تحديد المعنى المراد والإخبار عنه، نحو: محمد في الدار، فهذه الجملة جواب لسؤال أين محمد؟

فوقع النبر على الخبر؛ لأنه هو المستفهم والمراد الإخبار عنه[105].

وهي هنا إشارة إلى غرض خاص وهو التخصيص، لذا زيد من نبرها للإشارة إلى ذلك.

ويمكن أن نجد هذا النبر واقعاً في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، فهي جواب لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾[البلد: 12]، بأن يخلصها من إسار الرقّ، وفكّ الرهن[106].

وهي خبر لمبتدأ محذوف فوقع النبر عليها، إذ إن الباري عز وجل بدأ بتعداد المخلصات من العقبة، فبدأ بأولها، وهي: فك رقبة، لذا وقع النبر على كلمة (فك) ليزيدها ويبينها؛ ذلك أن الفكّ هو التخليص من أسار الرقّ، وخلاصها من النار، لذا قدمت في أول المخلصات، وهذا النصّ نزل والإسلام في مكة محاصر، وليست له دولة تقوم على شريعته، وكان الرقّ عاماً في الجزيرة، وفي العالم من حولها، وكان الرقيق يعاملون معاملة قاسية على الإطلاق[107].

ويمكن أن نجد هذا النبر واقعاً في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾[البلد: 18]، فهذه الآية جواب لما سبق، فوقع النبر على (فأولئك) للتعريف بأصحاب هذه الصفات الحميدة،فاستعمل معهم (أولئك).

حصيلة البحث

1. تبين أن الفاصلة في هذه السورة جاءت موزعة على نوعين، الأول الفاصلة المتوازية، والثاني الفاصلة المطرفة، و هناك تشابه بين هذين الفاصلتين في الحرف الأخير، منح السورة الكريمة وقعاً مميزاً عن طريق التماثل الصوتي القائم بين هاتين الفاصلتين ما زاد جو السورة وقعاً وجمالاً.
2. قسمت هذه السورة على ثلاثة مشاهد، مشهد انتهى بصوت الدال، ومشهد انتهى بصوت النون، والثالث انتهى بصوت الهاء، وواضح أن المشهد الأول في هذه السورة يحمل هزة عنيفة تثير انتباه المتلقي، إذ مثلت الدال فيه وقعاً تقريعياً جاء مناسباً لمضامين هذا المشهد.

في حين أن المشهد الثاني جاء لينبه المتلقي على هذه النعم الإلهية التي سخرها البارئ للإنسان، لما تميزت به النون من وضوح سمعي، لذا كان هذا المشهد أخف وطأة من الأول، والحق إن هذين المشهدين جاءا توطئة للمشهد الثالث الذي انتهت فواصله بصوت الهاء، إذ هيمن هذا المشهد على القسم الأعظم من السورة، وقد أشارت فيه الهاء – على ما يبدو – إلى انتهاء الحدث في تلك الألفاظ، يزاد على أن الهاء قد أحدثت وقعاً مميزاً في المشهد بما وظفته من إيقاع هادئ حافظ على جو السورة الكريمة.

3. تألفت السورة من عدد لا يستهان به من الأصوات المجهورة ذات الوقع العالي، والقوة الإسماعية

العالية، ولاسيما في المشهد الأول والثالث، وهذا بدوره له تأثير واضح على مضامين هذه السورة من دلالات تلك الألفاظ المتألفة من هذه الأصوات.

4. لصوت المد حضور واضح في هذه السورة، إذ شاع في المشهد الأول ليبين للسامع ما في هذا المشهد من معان، فكثر مجيء صوت المد بما يتميز به من وضوح سمعي، وقد تكرر هذا الصوت في المشهد الثالث، لأن السياق القرآني في بداية هذا المشهد جاء طويلاً والهدف منه على ما يبدو تهيئة النفس لذكر الآتي من العذاب.
5. ثبت أن ثمة تشكيلاً صوتياً بين أصوات القلقة والنّبر في هذه السورة،إذ إن في كليهما بروزاً صوتياً واضحاً في بعض المقاطع الواردة في السورة، إذ وقعت القلقلة في نهاية المشهد الأول ما جعل لهذه الأصوات أثراً في دلالة تلك المضامين المذكورة في السورة وغيرها.

هوامش البحث

(1) ينظر : التفسير البسيط، الواحديّ: 24/7، والجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ: 23/288.

(2) ينظر : البحر المحيط، أبو حيان الأندلسيّ: 8/469.

(3) ينظر : زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ: 9/126.

(4) ينظر : البيان في عد آي القرآن، الدانيّ: 274، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي: 1/520.

(5) ينظر : بصائر ذوي التمييز: 1/520.

(6) ينظر : صحيح البخاريّ: 3/623.

(7) ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن، الثقفيّ: 207.

(8) ينظر : تناسب الدرر في تناسب السور، السيوطيّ: 137.

(9) ينظر : بصائر ذوي التمييز: 1/520.

(10) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(11) ينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب: مج 6/3908.

(12) ينظر : الألسنية في علم اللغة الحديث، ميشال زكريا: 248.

(13) ينظر : بنى البديع في القرآن الكريم دراسة فنية، د. أميرة العتابيّ: 61.

(14) ينظر : التعبير القرآني، د. فاضل السامرائيّ: 236.

(15) إعجاز القرآن، الباقلانيّ: 270.

(16) ينظر : البرهان، الزركشيّ: 1/75.

(17) ينظر : لغة القرآن في جزء عم، محمود أحمد نحلة: 368.

(18) ينظر : القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، أحمد البايبيّ: 205-2/204.

(19) ينظر : البرهان: 1/76.

(20) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(21) ينظر : لغة القرآن في جزء عم: 371.

(22) ينظر : البرهان : 1/76.

(23) ينظر : كتاب سيبويه: 4/434.

(24) البرهان: 1/54.

(25) ينظر : سر صناعة الإعراب، ابن جني: 1/63.

(26) ينظر : الرعاية، مكي القيسيّ: 125.

(27) ينظر : الكشاف، الزمخشريّ:6/375.

(28) ينظر : الدلالة النفسية والتعبير القرآني د.عبد الله الجيوسيّ: 187.

(29) ينظر : التشكيل الصوتي،سلمان العانيّ:52-51.

(30) ينظر : موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس: 248، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي: 178، والفاصلة، الحسناويّ: 63.

(31) ينظر : كتاب سيبويه: 435-4/434، والمقتضب، المبرد: 1/194، وسر صناعة الإعراب: 1/60، 64.

(32) ينظر : البحر المحيط: 8/471.

(33) ينظر : زاد المسير: 9/134.

(34) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: 23/301.

(35) ينظر : المصدر نفسه: 23/302.

(36) ينظر : مجاز القرآن، أبو عبيدة: 2/299.

(37) ينظر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، د. عمر عبد الهادي عتيق: 342.

(38) ينظر : كتاب سيبويه: 4/434و435،والمصطلحات الصوتية، ابراهيم عبودالسامرائيّ:81.

(39) ينظر : الأصوات اللغوي: 132، وعلم الصرف الصوتي، د. عبد القادر عبد الجليل: 174.

(40) ينظر : دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 294.

(41) ينظر : الكشاف: 6/376.

(42) ينظر : علم الصرف الصوتي: 85-86،والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د.غانم قدوري الحمد:186.

(43) ينظر : مجاز القرآن: 2/299.

(44) ينظر : معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 5/330، والتفسير البسيط: 24/29.

(45) ينظر : موسيقى الشعر : 26، والمدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد:120،إذ تكلم فيه عن القلقلة وأماكن وقوعها.

(46) ينظر : العين، الفراهيديّ: 1/53.

(47) ينظر : الرعاية: 123.

(48) ينظر : كتاب سيبويه: 4/434.

(49) ينظر : الرعاية: 117.

(50) المصدر نفسه: 118-117.

(51) ينظر : كتاب سيبويه: 4/434.

(52) ينظر : الرعاية: 124، وشرح المفصل، ابن يعيش:10/252.

(53) ينظر : الرعاية: 124، ومخارج الحروف وصفاتها، ابن الطحان: 90.

(54) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء: 3/266.

(55) ينظر : كتاب سيبويه: 4/434.

(56) ينظر : الأصوات اللغوية: 27.

(57) ينظر : الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام حمدان: 302.

(58) ينظر : محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب: 258.

(59) ينظر : التشكيل الصوتي: 115.

(60) كتاب سيبويه: 436-4/435، وينظر : شرح المفصل: 253-10/252.

(61) ينظر : كتاب سيبويه: 4/436.

(62) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 314.

(63) ينظر : مجاز القرآن: 2/299.

(64) ينظر : معاني القرآن وإعرابه: 5/328.

(65) ينظر : التشكيل الصوتي: 115.

(66) ينظر : لغة القرآن في جزء عم: 171

(67) ينظر : الكشاف: 6/376.

(68) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: 23/291.

(69) ينظر : الكشاف: 6/376.

(70) ينظر : نظم الدرر، البقاعيّ: 24/56.

(71) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: 23/296.

(72) ينظر : البحر المحيط : 8/471.

(73) ينظر : الكشاف : 6/379.

(74) ينظر : التفسير البسيط : 24/27.

(75) ينظر : نظم الدرر: 22/61.

(76) ينظر : الأصوات اللغوية: 138.

(77) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة: 43.

(78) ينظر : المرجع نفسه.

(79) ينظر : المرجع نفسه: 44.

(80) ينظر :الأصوات اللغوية :134.

(81) ينظر : الكشاف: 6/378.

(82) ينظر : المصدر نفسه: 6/379، ونظم الدرر: 22/61.

(83) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: 23/98.

(84) ينظر : المصدر نفسه.

(85) ينظر : نظم الدرر: 22/62.

(86) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: 23/330.

(87) ينظر :المدخل إلى علم أصوات العربية:119-118.

(88) ينظر : الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، عبد الحميد الهنداويّ: 122.

(89) ينظر : زاد المسير: 9/136.

(90) ينظر : مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 194.

(91) ينظر : الأصوات اللغوية: 141.

(92) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: 46.

(93) ينظر : المرجع نفسه: 47.

(94) ينظر : معاني القرآن: 3/264.

(95) ينظر : البحر المحيط: 8/470.

(96) ينظر : التفسير البسيط: 24/12.

(97) ينظر : معاني القرآن: 3/264.

(98) ينظر : الكشاف: 6/376.

(99) ينظر : التحليل اللغوي: 47.

(100) ينظر : إعراب القرآن، النحاس: 1097، والهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسيّ: 11/8271.

(101) ينظر : كتاب سيبويه: 4/217، ومغني اللبيب،ابن هشام الأنصاريّ: 373.

(102) ينظر : البحر المحيط: 8/470.

(103) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: 23/294.

(104) ينظر : مغني اللبيب: 645، والإيضاح في علوم البلاغة، القزوينيّ: 54.

(105) ينظر : التحليل اللغوي: 47.

(106) ينظر : التفسير البسيط: 24/28.

(107) ينظر : في ظلال القرآن: مج6/3912.

المصادر والمراجع

1. الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي: د. ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي، ط1، سورية، حلب، 1997م.
2. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة عبد الكريم حسان، (د.ط)، 2007م .
3. الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: د. عبد الحميد هنداوي، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2004م .
4. إعجاز القرآن: الباقلانيّ (ت403هـ)، تح: أحمد

صقر، دار المعارف، ط3، مصر، (د.ت) .
5. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعيّ، المكتبة العصرية، (د.ط)،، لبنان، 2008م .
6. إعراب القرآن: أحمد بن محمد النحاس (ت328هـ)، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط2، لبنان، 2005م.
7. الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام: ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط9، بيروت، 1983م .
8. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: جلال الدين القزوينيّ (ت739هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1،، لبنان، 2003م .
9. البحر المحيط: أبو حيان الأندلسيّ (ت745هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود ورفاقه، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001م .
10. البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن الزبير الثقفيّ (ت708هـ)، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزيّ، ط1،جدة، السعودية، 1428هـ.
11. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشيّ (ت749هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ط3، القاهرة، 1984م.
12. بنى البديع في القرآن الكريم (دراسة فنية): د. أميرة جاسم العتابيّ، مؤسسة البديل للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2012م.
13. البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو الدانيّ (ت444هـ)، تح: د. غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط1، الكويت، 1994م.
14. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية: د. محمود أحمد عكاشة، دار النشر للجامعات، (د.ط)، مصر، 2005م .
15. التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، د. سلمان العانيّ، النادي الأردني الثقافي، ط1، جدة، المملكة العربية السعودية، 1983م.
16. التعبير القرآني: د. فاضل السامرائيّ، دار عمار، ط5، 2007م .
17. التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. عبد الله محمد الجيوسيّ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط2، دمشق، 2003م
18. التفسير البسيط: علي بن أحمد الواحديّ (ت468هـ)، تح: د. فوزة بنت عبد الله الورثان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1430هـ.
19. تناسب الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطيّ (ت911هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1986م.
20. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله (ص) وسننه وأيامه: أبو عبد الله البخاريّ (ت256هـ)، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط1، القاهرة، 1400هـ.
21. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد القرطبيّ

(ت671هـ)، تح: د. عبد الله بن المحسن التركي ورفاقه، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.

22. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2007م.
23. دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 2006م .
24. الرعاية: مكي بن أبي طالب القيسيّ (ت437هـ)، تح: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط3، عمان، 1993م.
25. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين بن محمد الجوزي (ت597هـ)، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت، 1984
26. سر صناعة الإعراب: ابن جني (ت392هـ)، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1993م .
27. شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش (ت643هـ)، تح:د.إبراهيم عبد الله، دار سعد الدين، ط1، القاهرة،2013.
28. ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم (التركيب والرسم والإيقاع): د. عمر عبد الهادي عتيق، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد الأردن، 201م .
29. علم الصرف الصوتي: د. عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، ط1، 1998م.
30. العين (كتاب): الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت175هـ)، تح: د. إبراهيم السامرائيّ ود. مهدي المخزوميّ، مطبعة الكويت، ط1، الكويت، 1980م.
31. الفاصلة في القرآن: محمد الحسناويّ، المكتب الإسلامي، دار عمار، ط2، بيروت وعمان، 1986م .
32. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط32، القاهرة، 2003م.
33. القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الأصوات الإيقاعية: د. أحمد البايبي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2012م .
34. كتاب سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، تح: عبد السلام هارون، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م
35. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشريّ (ت538هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود ورفيقه، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1998م.
36. لغة القرآن في جزء عم: محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1981م.
37. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، (د.ط)، القاهرة، 1954م .
38. محاضرات في اللسانيات: فوزي الشايب، منشورات وزارة الثقافة، ط1، عمان، 1989م.
39. مخارج الحروف وصفاتها: ابن الطحان (ت بعد 560هـ)، تح: د. محمد يعقوب تركستاني، مركز الصحف الإلكتروني، ط1، بيروت، 1984م.
40. المدخل إلى أصوات العربية :د. غانم قدوري الحمد،دار عمار للنشر

والتوزيع،ط1،عمان،2004.
41. المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين: د. ابراهيم عبود السامرائيّ، ط1،دارجريرللنشروا لتوزيع،بيروت،2011م.
42. معاني القرآني: يحيى بن زكريا الفرّاء (ت207هـ)، تح: محمد علي النجار ورفيقه، (د.ط)، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001م.
43. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (ت311هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004م.
44. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاريّ (ت761هـ)، تح: مازن المبارك ورفيقه، دار الفكر، ط5، بيروت، 1979م.
45. المقتضب: أبو العباس المبرد (ت285هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
46. مناهج البحث في اللغة : تمام حسان، دار الثقافة، (د.ط)، المغرب، 1987م .
47. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، مصر، 1952م .
48. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الـديـن البقاعيّ (ت885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، (د.ط)، القاهرة (د.ت).
49. الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي القيسيّ، تح: زاره صالح ورفاقه، إصدارات كلية الدراسات العليا، البحث العلمي، ط1، الشارقة، الإمارات، 2008م.

Abstract

Phonological Variation in Al-balad Sura

This paper is concerned with the variation of sounds and matching them to create

Sound effects.there are three rhymes in this sura(d)،(n)،and(h) which callaborate to give sura a highly effective rhythmic pattern .Hoveaver ،certain sounds recur in Albalad sura mainly voiced ،stressed sounds and sonorous sounds to give the sura its unique effect.the length of the sound is also employed here to reflecte the meaning of certain words.